**العلاج النسقي للفصام**

**مقدمة**

إن الانسان ليس مجرد فرد يعتمد في وجوده على الاخرين فحسب و إنما هو عبارة عن مخلوق يتحرك ضمن منظومات مختلفة منتظمة هرميا . فهو بحد ذاته منظومة اجتماعية نفسية بيولوجية ، و عليه فالإنسان كائن منظومي لأن هويته و مشاعره و سلوكياته كلها تتعلق بالمنظومات الاجتماعية التي ينتمي إليها .

و **المنظومة** Systemaهي كل مركب يعد أكثر من مجموع الأجزاء المكونة له ، يتألف من التأثيرات المتبادلة بين عناصره المعتمدة على بعضها البعض بصورة متبادلة ، بحيث أن أي تعديل في عنصر منها يظهر في تأثيره المعدل على العناصر الأخرى من المنظومة فأهم خاصية فيها هي التغيير عبر الزمن .

**تعريف العلاج المنظومي** : هو عبارة على شكل تواصلي بين شخصين أو أكثر ، يراعي بصورة خاصة عمليات التفاعل النوعية البانية للعلاقة بين الناس في منظومات مختلفة . و ينظر للإنسان على انه محدد من الناحية المنظومية بشكل مضاعف، فمن جهة يشكل هو نفسه منظومة مستقلة مركبة منتجة و منظمة لذاتها ، و من ناحية أخرى هو معتمد وجوديا على المنظومات الاجتماعية و البيئية (المنظور المنظومي البيئي التي تؤمن قدرته الحياتية .

يقوم العلاج المنظومي على النموذج المتمثل في أنه إذا ما أردنا فهم الظواهر و تعديلها فلا يمكن التعامل معها بشكل منعزل ، فلا يمكن فهم تطوير أو تعديل هذه الظواهر إلا بفهم التأثيرات النوعية المتبادلة ، و آليات التغذية الراجعة في المنظومات المركبة (علاقات، أسر، أزواج ،جماعات ) و التي تهدف الى تحقيق حالة من التوازن مع المحيط الخارجي . و يحاول هذا العلاج بناء أطر واقعية جديدة تسهل على الأفراد إعادة النظر في رؤيتهم ، و تبني أساليب جديدة تتيح له أدراك ذاته و الآخرين بطريقة مختلفة .

و لقد قام العلاج النفسي المنظومي على الدعامات الرئيسية التالية :

\*/ نظرية السيبرنيطيقا

\*/ نظرية المنظومات المستقلة ذاتية التوليد

\*/ البنوية

**ومن أهم مدارسه :**

\*/ Palo Alto ( Paul Watzalwick, Beaven, Jackson ,Weakland,Fisch)

\*/Mayland ( Selvini Palazzoli,Boscolo,Ceccinni ,Prata Cirrlo)

\*/Haidelberg ( Stierline,Schmidt,Simon ,Retzer ,Hellinger , Jay Haly..)

**النشأة و التطور :**

استمد العلاج النسقي وجوده و بشكل واسع من النظريات النسقية و التي تستمد هي بدورها مصادرها من مفاهيم النظرية (السيبرنيائية cybernétique ( و لذلك نجدها ثرية بمفاهيم مثل التوازن Homéostasie ، الأثر الرجعي، حلقة التنظيم، التغذية الرجعية السالبة و الموجبة ، و هو ما يجعلها مختلفة عن الإطار المفهومي للتحليل النفسي الذي يستمد جانبا من مصادره من نظريات الطاقة( الحرارية أو الميكانيكية و التي ترى بأن النسق مفتوح يؤثر و يتأثر بالبيئة )و قد انبثقت انظمة التحكم الذاتي أي السيبرنطيقا من الرياضياتSystème d’échange d’information et d’auto –régulation"" و التي حملت جيلا من العلماء من مختلف التخصصات إلى التساؤل عن الطريقة التي نستطيع بموجبها تناول التعقيد و من ثم أصبح من الضروري وجود منهجية جديدة بمصطلحاتها الخاصة ، و هي تلك التي تعتبر موضوع الدراسة كمجموع متماسك من العناصر المتفاعلة و المتكيفة في كنف المحيط الذي تنمو فيه : انه **النسق** " **و النسق هو نظام معقد لعناصر متفاعلة مع بعضها البعض "**

و ما تجدر الاشارة اليه أن أصحاب التوجه النسقي هم الذين طرحوا و بقوة مفاهيم و منطلقات علاج الاسرة باعتبارها نسقا ، ومن ثم ترعرع في ظل الممارسة الارشادية و العلاجية و ربما عكس ذلك المداخل و المفاهيم التقليدية الاخرى في العلاج الأسري كالتحليلية و السلوكية و التي عمدت الى تكييف فنياتها و اساليبها لتناسب علاج الاسرة .

لقد أسهمت نظريات الاتصال Paul Watzlawick في ارساء التوجه الجديد من خلال تركيزها على اهمية التفاعل أثناء العملية الاتصالية ، و تطورت من ثم العلاجات العائلية في الولايات المتحدة في خمسينيات القرن الماضي لتنتقل الى كندا و اوروبا في الستينيات ، ما بين الثمانينيات و التسعينيات أثبتت الابحاث في المجال الأسري فعاليتها . و نشر" Jules Flaret & Charles Laserge" العام 1877دراسة بعنوان "جنون لاثنين " و هي اول دراسة اهتمت بدور التفاعل في ظهور الاضطرابات العقلية استند العلاج النسقي اذن على تحديد أنواع الاتصال السوية، أو على وجه الخصوص أنواع الاتصال المرضية. Selvini ) )

ان كل رسالة تتضمن قناتين مختلفتين و متمايزتين : قناة رقمية و هي الرسالة اللفظية، و قناة تناظرية و هي الرسالة غير اللفظية( الإيماءات، الإشارات، الوضعيات، نبرات الصوت،...الخ)، و القطعة من الرسالة التي تنقل قناة معينة يمكن أن تكون متناغمة مع القطعة التي تنتقل في أخرى، أو تكون غير متناغمة، بل حتى تكون متناقضة. إن عدم التناغم هذا ، أو خاصية التناقض بين هذين المستويين هو الذي يحدد لنا مفهوم الاتصال المتناقض أو ذو الرابطة المزدوجة من هذا المفهوم الذي يعتبر من المفاهيم الأساسية في العلاج النسقي للذهاني.و في سنة 1937 نشر Ackerman مجموعة مبادئ مؤسسة للنموذج النسقي عن طريق مساعدة العائلة للتعرف على صراعاتها و من ثم مواجهتها .

بمضي الوقت تأكدت القناعة بان أسرة المريض الحالية و أسرته الأولية عامل هام جدا في نجاح العلاج. ولعل من المألوف لدى العياديين ملاحظة حدوث حالات الشفاء لا بسبب العلاج بل بسبب أسرة المريض. و قد قام ناثان اكرمان( Ackerman.N ) احد مشاهير التحليل النفسي بإنشاء أول مستشفى في الولايات المتحدة الأمريكية للصحة النفسية للأسرة، و قد ظهر من ملاحظاته الأساسية في مقابلاته مع الأطفال و الآباء و الأمهات أن نجاح علاج الفصام لا يتم إلا إذا كان نظام الأسرة يسمح بحدوث التغيرات السلوكية الدائمة التي يطلبها العلاج، و إلا فان كل المحاولات العلاجية ستنهار و ينكص المريض بسبب التأثيرات الأسرية غير المرئية، و هكذا يمكن القول أن التقدم في العلاج الأسري قد حدث عندما بدأت الرؤية تنتقل من العضو المريض نفسه إلى رؤيتها في العلاقات المرضية مع والديه مثلا، أو في رؤيته على انه يعكس في اضطرابه جانبا محددا من مرض والديه أو أسرته.

هذا و قد كان لكثير من العلماء أمثال : سوليفان، فروم، ايريكسون، و هورني تأثيرا واضحا في العلاج الأسري من خلال نظرتهم إلى العصاب باعتباره اضطرابا في العلاقات الشخصية المتبادلة، و من جهة أخرى فقد كان لظهور مهمة الإرشاد الزواجي عامل حفز و دفع لحركة العلاج الأسري، و تأثرت كل حركة منها بالأخرى بصورة واضحة، و انتقلت كثير من الأساليب المستخدمة في الإرشاد الزواجي إلى حقل العلاج الأسري **الخلاصة**، أن العلاجات المنظومية ترجع إلى اطر ابستمولوجية مختلفة، تتركز ليس على الفرد و لكن على النسق في مجموعه و على أنماط الاتصال بين عضو من أعضاء ذلك المجموع.   
بالإضافة إلى ذلك، فإن نظرية الأنساق العامة خدمت كإطار نظري العديد من نماذج الممارسة المستخدمة حالياً، وفي الواقع، تعد مداخل العلاج الأسري family therapy approaches من النماذج القائمة أساساً على مفاهيم نظرية الأنساق العامة ويعود ذلك لكون هذه المداخل تتعامل مع الأسرة التي تعد بدورها أكثر الأنساق الاجتماعية وضوحاً. و لا تقتصر إسهامات النظرية على ذلك، فاستخدامها من قبل الأخصائيين الاجتماعيين أحدث نقلة من التركيز ضيق الأفق المعمول به سابقاً على "الشخص- في- الموقف" person–in-situation، إلى تركيز أعم وأشمل ويتمثل في "الشخص- في- البيئة" person-in-environment.

**مدخل الى نظرية الأنساق العامة**

**تمهيد**

تمثل نظرية الأنساق العامة General System theory وجهة النظر الاساسية و الحديثة في النظرة الى الاسرة و في دراستها . و لنظرية الأنساق جذور في علم النفس الجشطالتي الذي يتبنى مفهوم الصيغة الكلية ( Gestalt ) ; ومن اعلامه : Max Werntheir ماكس فيرتيمر ، فولفجانج كولر Wolfgang Kohler و كيرت كوفكا Kurt Kofka . و هم الذين قدموا تحليلا جيدا للأداء الوظيفي للكل . و هو المبدأ الذي قامت عليه نظرية الانساق .

**مفهوم النسق :**

يستند مفهوم النسق إذن الى فكرة أن الكل لا يمكن فهمه إلا من خلال دراسة أجزائه في علاقتها ببعضها البعض ، و في علاقتها بالعملية الكلية للأداء . و يعرف النسق " بانه نظام معقد لعناصر متفاعلة بعضها مع بعض "Bertalanffy 1968 "

إن الانساق ليست تجميعة و قد أدرك علماء الفيزياء هذه الحقيقة قبل أن يدركها علماء النفس و الاجتماع بسنوات عديدة . **ولعل أفضل هذه التعاريف هو ذلك الذي قدمه هارتمان ولاريد (Hartman & Larid). فالنسق استناداً إليهما هو "ذلك الكل والذي يتكون من أجزاء متداخلة فيما بينها ومعتمدة على بعضها البعض"**

**تعريف المنظومة أو النسق :**

هي مجموع لأجزاء أو وحدات بينها اتصال داخلي ، و تؤثر هذه الأجزاء على بعضها البعض و قد تتكون هذه الوحدات من أعضاء – كما هو الحال في جسم الانسان – او من افراد كما هو الحال في الأسرة أو من مجموعات كما هو الحال في المجتمعات و الامم ، و تتجمع هذه الوحدات و تتبادل التأثير و التأثر من خلال التواصل . يمكن تعريف أي منظومة إنسانية تفاعلية على انها " أشخاص يتواصلون مع آخرين "

و الملاحظ أن أبسط تعريف يضع الافراد في الخلفية و علاقاتهم في المقدمة و تجعل هذه العلاقات و الانماط التفاعلية الاسرة كلا و ليس تجميعا.

**فرضيات الأنساق العامة :** تقوم نظرية الأنساق العامة على مجموعة من الفرضيات:

\*/ فهي تفترض بأن الأنساق الحية living systems وغير الحية non-living systems، يمكن النظر إليها والتعامل معها على أساس أنها أنساق لها مواصفاتها الخاصة والتي تستحق الدراسة والتمعن. ويرى قوردن هيرن (Gordon Hearn) أن طبيعة نظرية الأنساق العامة تشير إلى أنها تأخذ اتجاهين رئيسيين الاتجاه التحليلي والاتجاه الشامل.

يأخذ الاتجاه التحليلي طبيعة العمل مع نسق ما على مستوى معين ودراسته لإيجاد ما إذا كان له خصائص معينة تحكمه والتعرف على طبيعة العلاقات بين أجزاء ذلك النسق، ومن ثم الانتقال إلى نسق آخر على مستوى آخر للتعرف على إذا ما كان له نفس الخصائص والسمات لذا فإن حقيقة ما أو ظاهرة ما على مستوى معين قد تقود إلى تكوين فرضية أو مجموعة من الفرضيات لتختبر في مستوى آخر. وباستخدام الاتجاه التحليلي، من الممكن اختبار مجموعة من الفرضيات والوصول إلى نظرية جديدة.

أما الاتجاه الشامل فهو يختلف حيث أن هناك محاولة لإيجاد نموذج عام .فبدلا من التركيز على مستوى واحد فقط، يتم التعامل مع عدة مستويات في أنساق مختلفة في نفس الوقت ومحاولة تقنينها داخل نموذجاً نظرياً موحداً قادراً على وصفها كل على حده وكذلك على وصفها مجتمعة.

\*/وتنظر نظرية الأنساق العامة إلى العالم على أساس ترابطي، فكل كيان قائم بذاته ينظر إليه من ناحية علاقاته بالكيانات الأخرى والتي تؤثر وتتأثر به، ولا ينظر إليه من ناحية الخصائص المكونة له .

\*/كما تفترض نظرية الأنساق العامة بأن الكل أكبر من مجموع الأجزاء المكونة له، وأن الارتباط القائم بين الأجزاء المكونة لأي نسق يؤدي إلى وجود خصائص جديدة في النسق هي بالضرورة نتيجة لهذا الارتباط والاعتمادية المتبادلة بين الأجزاء المكونة للنسق. فالأسرة كنسق اجتماعي قائم تتكون من مجموعة من الأفراد. ولكن الأسرة تعني أكثر بكثير من مجرد مجموعة من الأفراد. فالتفاعلات التي تحدث بين أفراد الأسرة من مودة ورحمة وحب وعطف وتضحية هي أكثر بكثير من تلك التي تحدث بين مجموعة من الأفراد. ولا تكون كل مجموعة من الأفراد أسرة، ولكن كل أسرة تتكون من مجموعة من الأفراد.

\*/وتفترض النظرية كذلك بأن أي تغيير يطرأ على أي من الأجزاء المكونة للنسق فإنه يؤدي بالضرورة إلى حدوث تغيير في النسق بصفة عامة، كما يؤدي إلى حدوث تغيير في الأجزاء الأخرى المكونة لنفس النسق. وتفترض نظرية الأنساق العامة بأن لكل نسق يوجد هناك إطارا مرجعيا محددا، ويقصد بالإطار المرجعي مجموعة العادات والتقاليد والقيم وكل ما من شأنه أن يحدد سلوك الأفراد داخل النسق، لذا فإن تحديد الإطار المرجعي يكون ضرورياً لفهم الأنساق.

و قد قامت نظرية الانساق العامة على مبادئ رئيسية تمثلت في

\*/النسق\*/الحدود\*/التغدية الراجعة\*/فقدان الطاقة \*/تخزين الطاقة \*/التوازن و قد كان لهذه الأخيرة تطبيقات هامة في مجال الاسرة . و التي كان لها تطبيقات علاجية في المجال الأسري .

**تطبيقات مبادئ نظرية الانساق على الاسرة**

* قواعد النسق الاسري :

للأسرة قواعد ينتظم وفقها التفاعل بين افرادها ، غير انها ليست مصاغة عادة الا انها تعمل على تثبيت كيفية عمل الاسرة كوحدة و تحدد و بقوة ما هو متوقع من كل عضو فيها .

و لقد كان Don Jackson اول من لاحظ ان التفاعل في الاسرة يسير وفق انماط و قوانين و قواعد ثابتة و افترض ان هذه القواعد تيسر السلوك أمام أفراد الاسرة فبدل العدد اللانهائي لأساليب السلوك المتاحة امام الفرد فإن الاسرة تحدد الاساليب في اختيارات دقيقة ، و هو مبدأ الوفرة. و تهدف هذه الاخيرة الى اقامة العلاقات الأسرية و الابقاء عليها .

و القواعد هي الالتزامات و الامتيازات و الحقوق الخاصة ببعض الاعضاء و التي هي واجبات للبعض الآخر ، و يحدد هذه الالتزامات متغيرات مثل الجنس و العمر و المركز . تكون هاته الاخيرة واضحة لغويا على شكل تعليمات أو توجيهات او نصائح ، ولكن بعضها الآخر يكون مقنع ، فهي استنتاجات يخلص اليها جميع أفراد الاسرة .

لان هذه القواعد غير مكتوبة يفهمها البعض ( الأسر التي لا يقوم فيها التفاعل على أساس صحي ) بشكل خاطئ فكل يفهمها على هواه . لدا ركز المعالجون على توضيح هذه القواعد لأعضاء الاسرة و توحيد مضامينها و مفاهيمها للجميع. على راس اولئك الذين اهتموا بتوضيح قواعد الاسرة فرجينيا ساتير لمساعدة الاسرة على ادراك قوانينها غير المكتوبة . مثال ذلك : أسر تمنع مناقشة بعض المواضيع / أسر تشجع العدوان خارج النسق و تمنعه داخل النسق ) .

* اتزان النسق الاسري :

شرح علماء النفس الفيزيولوجيين فكرة الاتزان الحيوي ، كانون في كتابه " حكمة الجسم " أوضح كيف ان الجسم يعمل بنظام تشغيل ذاتي التحكم Dynamic Biosocial System، و هي نفسها فكرة السبرنيتيك ، يستخدم الجسم عمليات التغذية المرتدة للحفاظ على ثباته الداخلي ، فهو في حالة دائمة من التعديل و التصحيح حفاضا على توازنه .

بالمثل تقوم الاسرة باستعادة بيئتها المستقرة كلما اختل نظامها ، فالاتزان ميكانزيم لا يسمح باي انحراف و يمنع تصعيد التفاعلات لحدود عليا ( مثال ذلك مشاجرة طفيلين ) .

بالطريقة ذاتها يقوم الزوجان بمراجعة و مراقبة وضع علاقتهما دون ان يدركا انهما يقوما بذلك و يوفران من المدخلات ما يمكنهما من اعادة حالة الثبات اذا ما هددت أوضاع ما خارجية توازن النظام . و تنشا بينهما لغة خاصة أو شيفرة يتقاسمان حلها ( التلميح ) مما يسمح بحاصرة الخطأ و استعادة التوازن .

يشير ديل و هوفمان الى ان قضية تشبيه هذا التوازن بفكرة Thermostat أمر مستبعد ، إذ على المرشد ألا يعيد الاوضاع الى ما كانت عليه ، (نقطة ثابتة قبل التغير ) و ذلك راجع الى :

\*/يتضمن نموذج معدل الحرارة ازدواجية أو تقابل أجزاء النسق في حين أن النسق الاسري تشارك جميع أجزائه في التعبير .

\*/منظم الحرارة يفترض به أن يعود الى نقطة ثابتة برمج عليها مسبقا اما النسق الأسري فلا لان كل الأنساق الانسانية تتغير و تتطور و ليس لها بات مطلق .

و عليه فمهمة المعالج ليس اعادة التوازن السابق لأنه غير صحي بقدر ماهي اجبار الاسرة على ايجاد حلول جديدة و تحقيق مستوى من الاستقرار من خلال اعادة التنظيم و التغيير .

يؤدي الاتزان وظائفه من خلال تفعيل القواعد التي تحدد العلاقات. و هنا نتساءل ما مدى مرونة هذه القواعد ؟ اذ يفرض نمو الاطفال تغيير بعض القواعد و الانظمة داخل الاسرة ( اختيار الاصدقاء في مرحلة المراهقة ، درجة الحرية و الاستقلالية التي تزداد بنمو الطفال )

يوضح كل من ( Minuchin ;Rosman ; Baker) في سياق دراستهم لفقدان الشهية العصبي ان النسق الاسري يميل الى الابقاء على حدوده المألوفة ، متسما بالجمود و عدم المرونة مما يعيق التغيير لاستيعاب احتياجات أفراده المتطورة و المتغيرة .

* التغذية المرتدة و المعلومات و الضبط في النسق الاسري :

يشير الاتزان الى الحاجة الى التغيير و الحاجة الى ضبط التغيير من اجل الحفاظ على سلامة النسق .ان هذه الآلية التنظيمية التي تمكن النظام من الحفاظ على اتزانه و في نفس الوقت يقوم بمراقبة محاولاته لتحقيق بعضا من اهدافه هي ما يسمى بالتغذية المرتدة . إذن هي اعادة ادخال نتائج الأداء السابق الى النظام من جديد كوسيلة لمراقبة الأداء و تحسينه بمعنى ان مخرجات النسق يعاد ادخال بعضها للاستفادة منها في التحسين و التصحيح بطريقة دائرية .

retroaction أو التغذية المرتدة : لا ترتبط أجزاء النسق مع بعضها بعضا بطريقة خطية / سببية و لكن حسب قوانين التغذية الراجعة أو بطريقة دائرية.

كلما قل نشاط التلميذ و ادائه كلما ضاعف الاستاذ من الضغط عليه ، كلما أصر الاول كلما تعثر الثاني و عليه فإن تمسك الفرد بموقفه يدفع بالطرف الآخر الى التمسك بسلوكه اكثر ) تغذية راجعة إيجابية تؤدي لتفاقم الظاهرة ( مواقف العداء antagonisme des positions ) وهذا يعطي ما يسمى بمفعول كرة الثلج : تصعيد العنف في مشهد أسري هو نوع من التغذية الراجعة الايجابية في حين أن إبداء أحد الطرفين للخضوع و العجز سيؤدي بالآخر الى نوع من المرونة و التفهم ما يسمح للطرف الخاضع بالانفتاح و بالتالي إمكانية الخوض في الامر من جديد .

اما التغذية الراجعة السلبية فتهدف لامتصاص الموقف او الظاهرة و هي ميكانيزم تعديلي يهدف الى فرملة تفاقم الوضع . كما تتدخل التغذية الراجعة السلبية في عملية التوازن بما يسمح للنسق بالاستجابة للاضطرابات بمجموعة من الميكانيزمات التعديلية و التي تعيده الى حالته الاولية . و التوازن خاصية هامة جدا في الانساق المفتوحة لأنه يسمح بالمحافظة على هوية النسق برغم من كل الاضطرابات المحيطة به .

* حدود النسق الاسري:

الحد هو خط غير مرئي لتعيين الخطوط الفاصلة بين نسق و آخر أو بين الانساق الفرعية . في نسق كالأسرة تحيط الحدود و تحمي كيان النسق و تصون سلامته ، و تقرر ما الذي يعتبر جزء منه و ما الذي يعتبر خارجا ومنفصلا عنه .

تحرس الحدود ما يتدفق الى الاسرة من الخارج و حتى ما يميز الحدود بالداخل و يرى مينوشن ان هذه التقسيمات لا بد ان تكون واضحة بصورة تسمح لأفراد الاسرة بأداء مهامهم و تساهم في حماية استقلالية الافراد و الحفاظ على الاعتمادية المتبادلة بينهم .

مثال ذلك تقوم الام بتوبيخ الطفل على تدخله في البرامج التي تشاهدها اخته . وهذا يعني تحديد مسؤوليات النسق .اطاع ة الاخ الاكبر في حال غياب الاب .اذ ينبغي ان تكون مسؤولية الانساق الفرعية واضحة و هنا نتحدث عن مدى نفاذية هذه الحدود . فالحدود الصارمة تفتح الباب للخلط و الاضطراب و تزيد من مخاطر عدم الاستقرار و الاختلال الوظيفي للأسرة . الانساق التي تسمح بتدفقية عالية من المعلومات من والى الخارج تسمى انساقا مفتوحة . و التي يصعب عبور حدودها تسمى بالانساق المنغلقة .

* الانفتاح و الانغلاق في النسق الاسري :

الانساق الانسانية و الاجتماعية هي انساق مفتوحة بعكس الآلات و يلاحظ ان هناك اسر اقرب للانغلاق تتسم بالتشدد و الانعزال فتكون قدرتها على التكيف اقل ، و هي ايضا اقل مرونة و قدرة على التغيير ، وهي غير قادرة على الاستفادة من التجارب الجديدة فهي ترفض تغير انماط التفاعل التي ثبت عدم صلاحيتها .

يصف جولدنبرج الانساق الاسرية المفتوحة بان لديها توظيف جيد للطاقة » **Negentropy »**كما يصف الانساق المنغلقة بان لها اهدار للطاقة ( Entropy ) .

تفقد الانساق المنغلقة الطاقة لأنها تنفقها في مواءمات غير متوافقة ، تعزل نفسها عن تيار التغيرات المفيدة ، تحور نفسها من التجارب الجديدة و هي بذلك تتجه نحو الاختلال الوظيفي ( مثال اسر المهاجرين الجدد الى اوطان جديدة ، المجموعات العرقية ، و الاقليات الدينية )كونها تنظر بشك و ارتياب للآخرين ، و تعزز الاعتماد على الأسرة ( تميل الى التمسك بالتقاليد على نحو جامد )( الصراع الثقافي بين الوالدين و الأبناء فالنسق يمتد على متصل مرونة جمود )

* **النسق المنغلق في الاسرة :** تتميز علاقات هذا النسق بالإفراط في المعية Togetherness و تتقلص الخصوصية لتصل الى فقدان الاستقلال الفردي ، و هي من العمليات الاسرية الممهدة للاضطراب ، و يطلق عليها مصطلحات الانصهار او الوقوع في الشرك Enmeshment او نقص التمايز

بعد خاصيتي العزلة و الاندماج الزائد التي تميز هؤلاء الاسر يأتي الجمود و عدم المرونة ، تظل العلاقات كما هي لا تتغير الا بالقدر القليل ( فتنمو العلاقة التكافلية بين الام التي تبقى تنظر لابنها الراشد انه صغيرا

و يميل أفراد هذه الاسر للحديث نيابة عن بعضهم البعض فتنقص التلقائية ، و لا يسمح داخلها بتناول كل المواضيع . بينما تشيع بينهم الطابوهات و يزداد سمك و صلابة الحد الخارجي للأسرة وهنا يبدأ النسق في التقوت على نفسه حتى ليكاد ان يتآكل ذاتيا . فبدون بيانات جديد يفقد النسق القدرة على تغيير قواعده الخاصة و يستمر في تدوير المعلومات داخله بنفس التفاعل و نفس الانماط.

ان من علاما ت الجمود في هذا النسق محدودية السلوك و نمطية الاستجابة ( نفس الاستجابة تتكرر في مواقف مختلفة ) لذا تعتبر محدودية السلوك من أهم ملامح الاسر المنغلقة و يستخدم رواد العلاج الاسري تعبير نقص المحصلة ( lack of equifinality ) ; و التي لا تعني قلة البدائل لدى هؤلاء الافراد و لكنهم لا يريدون رؤيتها او كما لوانهم كانوا مجبرين على السلوك وفق ما اعتادوا .

* **النسق المنفتح من الاسرة :**

يسمى النسق منفتحا عندما يكون قادرا على التغيير و اعادة التشكيل خلقا لحالات جديدة متوالية بينما يحافظ في نفس الوقت على الحدود التي تجعل منه نسقا متميزا ، لأنه قادر على ادخار الطاقة و عدم تبديدها و النسق المنفتح قادر على القيام بكلا النوعين السابقين من التغيير ، تغيير من الدرجة الاولى و الذي يرتبط بتغيير المكونات الداخلية المنفصل عن أية تأثيرات خارجية ، و التغيير من الدرجة الثانية و الذي يحدث نتيجة ورود معلومات و بيانات جديدة من الخارج . و ما يحافظ على حالة الانفتاح في النسق هي مرونة القواعد و التي تسمح بالاستفادة من المدخلات البيئية الجديدة لكي ينظم نفسه و يتكيف للضغوط التي يتعرض لها .

إن اول الملامح التي تميز النسق المنفتح هي الاتصال الخارجي ( كثرة الزيارات ، الرغبة في اسكشاف المجتمع مع الابتعاد المؤقت للتخفيف من شعور عدم الارتياح و الذي قد ينتج عن الاقتراب الشديد . و يتسم بالحرية في تبادل المعلومات مع وجود رقابة مرنة و رشيدة على وسائل و أساليب الاتصال . و باختصار يحافظ هذا النسق على التماسك الجماعي و على الحرية الفردية .

زيادة على سهولة الاتصال و التفاعل مع العالم الخارجي و الذي يؤول الى القدر الأكبر من المحصلة Equifinality و بالتالي القدر الاكبر من الحيوية و القابلية للنمو .

Equifinality تعني ان تاريخ النسق اقل اهمية من توظيفه الحالي ، لان النسق ينظم ذاتيا و يتطور باستمرار استنادا الى التفاعلات التي يربطها مع بيئته فهو لا يحدد اذن بناء على ظروفه الاولية .

اما الخاصية الثالثة التي تميز هذا النسق فهي القدرة على الاتصال الداخلي بدون الافراط في الانغماس Overinvolvement و دون الوقوع في شرك الالتحام . و هنا يجب ان نفرق بين المعية التي تميز الأسر الواقعة في شرك الالتحام و بين الاحساس القوي بالاتصال و الترابط الصحي لأن أفراد الحالة الاولى لديهم نقص في الاستقلالية و التباين و التمايز عند حده الأدنى أما أفراد الحالة الثانية فلهم شخصياتهم المستقلة و كياناتهم المتمايزة .

تلجا الأسر الواقعة في شرك الالتحام الى التضحية بالعضو الذي اختارته كبش فداء ، و الذي يكون في الغالب فردا ذو استعداد و قابلية للقيام بالدور . و هي بذلك تكون قد وجدت طريقا للتعامل مع الضغوط التاي تقابلها دون ان تتعرض للتفكك .

**مدرسة البالوآلطو**

**مدرسة بالو آلطو : le college invisible** عبارة استخدمها Derek J de solla price

حينما نتحدث عن مدرسة بالو آلطو فنحن نتحدث عن مجموعة من الأفكار لرواد تزامنوا و لكنهم لم يلتقوا ، و مع ذلك توصلوا لنفس النتيجة و كأن الفكر العلمي لدى هؤلاء نضج بما فيه الكفاية لينتعش في مناطق مختلفة و أحيانا جد متباعدة جغرافيا .

و البداية مع Gregory Bateson و الذي قاد فريقا من الباحثين البارزين في مجال الاتصال و انطلق من مدينة بالو آلطو غرب الولايات المتحدة الأمريكية تقع جنوب سان فرانسيسكو و قد لعبت دورا بارزا في تطور الأفكار النسقية . و في الحقيقة كثيرا ما نتحدث عن تلك المعارضة التي نشأت بين تيارين كبيرين في تلك الحقبة :

* الأول بقيادة باتستون و فريقة ببالو ألطو ثم لاحقا واصلت فيرجينيا ساتير .
* و الثاني بالجهة الشرقية من الولايات المتحدة الأمريكية بكاليفورنيا و تزعمه مجموعة من الرواد الذين تأثروا بالفكر التحليلي أمثال ( Frieda From Reichman ,Hary Stack Sullivan , Murray Bowen ) .

سنة 1927 درس باتيسون الأنثروبولجي الشهير قضية قاطعي الرؤوس في غينيا الجديدة ، و وقف على أهمية الاستجابات التي يبديها المحيط و على سلوك الأفراد ، تلك الاستجابات التي تؤدي الى التغيير الجدري في السلوك و كأن الفرد يعود ( بفضل الآخرين ) الى نفسه و هو المصطلح الذي أطلقه باتستون على عملية التعديل الذاتي السلوكي Autoregulation comportemental اضافة الى مصطلح التغذية المرتدة Retroaction , Retrocontrole ، بعدها تحول لدراسة الأنثروبولوجيا الطبية بعيادة في الطب العقلي بسان فرانسيسكو و هناك تبادل مجموعة من الأفكار مع المختص في الطب العقلي Jurgen Ruesh قادته الى البحث في قضية الاتصال ليكتشف أشكالا مختلفة له لفظية و غير لفظية بينهما تعارض أسس عليه فكرة الرابطة المزدوجة La double contrainte .

أحس باتسون أن الاتصال يمثل كلا مدمجا غير قابل للتفكيك عن النسيج الاجتماعي و الذي يعد بمثابة مصفوفة دعم منطقي بالنسبة للعملية الاتصالية . و رغبة منه في التعمق في دراسة دور تناقضات التجريد في مجال الاتصال شكل فريقا من الباحثين من تخصصات مختلفة منهم :

-كيميائي و بعدها أنثروبولوجي John Weakland

-طالب في الاتصال الاجتماعي في مجال افلام الخيال Jay Haley

-مختص في الطب العقلي William Fry و بعدها عوض بالطبيب العقلي Donald , D , Jackson ، و قد حاول تطبيق تناقض Whitehead et Russel **le paradoxe sur la classe des classes** فقاد مجموعة من الابحاث عن عائلات مرضى الفصام . ومن خلال ملاحظته للكيفية التي يتواصل بها المرضى مع أباءهم و الام تحديدا و طور ما سمي لاحقا بما وراء الاتصال.La métacommunication

La façons dont il est possible de communiquer sur une communication و من هنا جاءت فكرته الشهيرة الرابطة المزدوجة ليخلص في نهاية المطاف الى ان اضطرابا خطيرا كالفصام يمكن ان ينتج عن اضطرابات التواصل ، لم يكن الامر بالسهل على الممارسين العيادين لتقبل فكرة كهذه . تحول بعدها العام 1962 لدراسة لغة الدلافين ، كما كان للقاء باتسون بعلماء آخرين امثال Norbert Weiner & John Von Neuman أثرا كبيرا في مساره البحثي و الذين بدوا مبهورين بهذا التشابه بين الانسان و الآلة .

أسست مدرسة بالو آلطو سنة 1958 تحت إدارة « Jackson Mental Research Institute » و كانت اول مدرسة نفسية علاجية تجمع بين البحث و تدريس العلاجات . من جهة أخرى كان للقاء Milton Erickson مع Weakland & Haley دور هام في فهم مختلف مستويات التبادلات التي يعتمد عليها التنويم لتتعارض بحوثهما مع التنويم الاركسوني لتكون حجر الزاوية في مركز العلاج المختصر centre de therapie breve

اعتقد Don Jackson أن المريض هو انعكاس لنسق مريض ، و ان الأعراض تهدف في حقيقتها لحماية النسق فقد لاحظ مع زميله Jay Halley خلال تعاملهما الطويل مع الفصاميين ان خفض الأعراض لدى فرد من العائلة يكون في الغالب مصحوبا بظهورها لدى فرد آخر .

و لقد ركز كل من Don Jackon , Jay Halley ,Bateson , John Wakland en 1954 على التواصل داخل أسر مرضى الفصام و من هذا الفريق ظهرت نظرية الرابطة المزدوجة ، و التي تؤكد على وجود نمط من الاتصال المتناقض يلعب دورا هاما في ظهور المرض **.**

**الرابطة المزدوجة** : The Double Blind. هي موقف يواجه الفرد فيه رسالتان متعارضتان ضمنيا ، يصعب رؤيتهما بوضوح بسبب الانكار و التخفي ، أو لأن الرسالتان من مستويين مختلفين بحيث لا يستطيع الهروب منها و لا التعليق بفعالية على تناقضهما .

Le double lien est défini «comme une situation (1) où un sujet est confronté à des messages paradoxaux, (2) non perçus comme tel clairement en raison de son déguisement, ou de son déni, ou parce que les messages sont de niveaux différents, et (3) auquel il ne peut ni échapper, ni percevoir ou commenter efficacement les contradictions. » (Weakland, 1960,

لقد أدى التطور الذي شهته حقبة الثمانينات مع ظهور كتاب واتزالويك و اعمال فون غلاسارفيلد و فوستير حول الجيل الثاني من أنظمة التحكم الذاتي و أعمال ماتيرانا و فاردا حول الادراك la parution du livre de Paul Watzlawick «L’invention de la réalité », les travaux de Ernst Von Glaserfeld, de Heinz Von Foerster (travaux sur la 2e cybernétique) et de Humbert Maturana et Francisco Varda (travaux sur la perception) )

الى التغيير في الابستمولوجيا النسقية ، بحيث اتجه النسق الانساني من بحثه عن الاتزان الحيوي كما في الجيل الأول من السيبرنيطيقا ( la premiere generation de la cybernitique ) الى الميل الى النمو و التطور كونها تمتلك احتمالات نمو في اتجاهات غير متوقعة . و من ثم لم يعد للعرض وظيفة وقائية بمعنى الحفاظ على التوازن بل أصبح مؤشرا دالا على وجود أزمة أو رغبة في التطور و النمو . و من ثم أصبح ينظر للأسرة بوصفها نظام علائقئ ذو تنظيم ذاتي و بنية مكونة من مثلثات ، و ادوار و قوانين و اهداف و غايات و finalités .

سمحت هذه الابستمولوجيا النسقية بتجاوز القراءة الخطية التي تكون الأعراض فيها مرتبطة بصدمة أو صراع من الماضي المخزن في اللاشعور او مرتبطة بخلل عضوي إلى الكشف عن قراءة دائرية تركز على أهمية التأثير المتبادل في سلوك الافراد .

**المداخل النسقية في علاج الأسرة**

**أولا/ وجهة النظر التفاعلية : غرغوري باتسون**

لم يرتبط باتستون رسميا بمعهد الابحاث العقلية و لا بمجموعة بالو آلطو الا ان تأثيره كان قويا و واضحا في اعمالهما ، فقد تمكن هؤلاء الباحثين من صهر جهودهم فيما عرف بوجهة النظر التفاعلية و التي ضمت العديد من الروافد : هاري ستاك سوليفان في النظرية البينشخصية ، برتا لانفي في نظرية الانساق العامة ، نموذج السيبرنتيك لنوربر فينر ، القصد المتناقض لفيكتور فرانكل ، و النظرية الرياضية للأنماط المنطقية لبرتراند راسل كما و تأثرت تلك التوجهات النظرية باتجاهات جاكسون و ويكلاند . و لقد اثمرت جهودهم في كتاب برمجيات الاتصال الانساني و الذي ضم خمس مسلمات هي :

1/ لا يستطيع الانسان الاستغناء عن الاتصال بالآخرين .

2/ لكل اتصال مضمون و جانب علائقي .

3/ طبيعة العلاقة تتوقف على علامات الترقيم و الوقف لفهم التتابع الاتصالي بين المتواصلين .

4/ تتصل الكائنات الانسانية على هيئة رقمية ثنائية و هيئة تناظرية ( لفظية و غير لفظية ) و الانسان هو المخلوق الوحيد الذي بإمكانه القيام بهما .

5/ كل التغيرات التبادلية الاتصالية إما أن تكون ذات طبيعة قياسية أو ذات طبيعة تكميلية في العلاقات و هذا يعتمد على ما اذا كانت توحي بالتساوي او الاختلاف . فالعلاقات التي تسعى للتشابه تسمى قياسية و تلك التي تسعى للاختلاف تسمى تكميلية .

**مبادئ العلاج التفاعلي :**

1/ يلجأ الناس الى طلب العلاج النفسي نتيجة صعوبات الحياة اليومية و التي تتضمن تغيرات لم يحسن التصرف فيها .

2/ تتعرض الاسرة لتحولات تحدث في الفترات الحرجة و يمكن ان تسبب مشاكل ان لم يحسن التعامل معها .

3/ تنمو المشكلات عبر طريقتين : التهويل و التهوين .أي عدم التقدير الدقيق لحجم و خطورة المشكلة .

4/ تحدث تغذية مرتدة موجبة لتلك الصعوبات مما يزيدها تعقيدا .

5/ يتطلب علاج المشكلات تغير انماط السلوك غير المرغوب حتى تقطع دائرة التغذية الراجعة الموجبة .

**الأساليب العلاجية التفاعلية :**

1/ إعادة التسمية أو إعادة التأطير : و تعني تقديم سلوك المتعالج من زاوية ايجابية لتجنب اللوم و النقد.

2/ التكليفات المنزلية : تعطى هذه الاخيرة للمتعالجين لجعلهم يتخلصون من ممارسات تعمل على استبقاء المشكلة و بالمقابل التخفيف من حدتها على ان تنفذ هذه التعليمات في الحياة العملية ثم يكتب عنها و تناقش في الجلسات التالية .

3/ وصفات الاعراض : يقوم هذا الأسلوب على فكرة التناقض و هي تشبه العلاج بالغمر لدى السلوكيين ، و العلاج الايحائي الايريكسوني و هي صورة عن الرابطة المزدوجة بحيث يطلب فيها من المتعالج القيام بالمزيد من الاعمال التي يدركها متعبة و مرهقة .( يطلب من الطفل الدائم التذمر الا يكف عن ذلك ) .

**أهداف العلاج :**

يهدف العلاج التفاعلي الى حل المشكلات كما توصف من جانب المريض و من ثم احداث التغيير في النسق .و يحدث التغيير على مستويين ، يتمثل الأول في التحول الذي يحدث داخل النسق و هو ليس بالتغيير الكبير ( انتقال الفصام من الوالد الى الولد ) . مما يدل على استمرارية اختلال النسق . أما الثاني فيتضمن تحولا حقيقيا في قواعد النسق و يتطلب ذلك تدخل شخص من خارج النسق ( معالج) .

**ثانيا/ العلاج العبر جيلي (العابر للأجيال ) موراي بوين Bowen**

تمهيد : تبنى بوين في بداية حياته توجها تحليليا و لقد اتضح ذلك جليا في استخدامه لمصطلحات تحليلية بحتة من قبيل أنا الاسرة الكتلية غير المتمايزة undifferentiated family ego mass ثم ما لبث ان تساءل عن جدوى هذا المدخل في العلاج .

عمل مع مرضى الفصام و وقف على العلاقة التكافلية /التعايشية للفصامي بأمه Symbiosis relationships فهما مثبتين عاطفيا ، وهما جزء من نسق انفعالي غير سوي

يعتبر بوين اول من اقترح برنامج علاجي في المعهد القومي للصحة النفسية ادخل بموجبه افراد الاسرة كلعهم للمستشفى

أقام بوين نظريته على متغيرين متداخلين : مستوى تمايز الذات و قدر القلق في مجال الفرد الانفعالي التفرد /الاستقلالية في مقابل الانصهار و المعية .

يسمي بوين التباعد بين الابوين الناتج عن السيطرة و الخنوع ( الام المتسلطة ) بالطلاق العاطفي و هو صورة اخرى من صور اضطراب الاتصال داخل الاسرة .

و يرى ان عدم نضج الابوين انفعاليا يتركز عند احد الابناء ليكون بالتالي حاملا لأكبر قدر من اللاسواء و متى استمر تركيز هذه العملية بشكل كبير على مدى ثلاث اجيال نمت الاعراض الفصامية بشكل واضح لدى الاحفاد .

تفترض نظريته وجود قوتين طبيعيتين تعملان في مجال العلاقات الإنسانية و هما : التفرد Individuality » " و الاستقلال Autonomy «  " من ناحية ، و المعية "Togerthernessو الاندماج" Fussion" "من ناحية أخرى و على الاسرة السوية أن تحدث التوازن بين هاتين القوتين .و هي صيغة تشبه ضرورة إحداث التوازن بين الحاجات الاتصالية عند الانسان (و هي التي تقابل الاندماج و المعية عند بوين ) و الحاجات الاستقلالية عنده ( و هي التي تقابل التفرد و الاستقلالية عند بوين ) .

**مفاهيم النظرية :**

يشرح بوين باثولوجية النسق الأسري من خلال مفاهيم اساسية و يرى ان سلوكيات الأفراد بوصفها نتاج لتفاعل معقد داخل المحيط الذي ينمون فيه و يتطورون فيه تتموضع بين قطبين جهاز ذهني و اخر وجداني يتوسطهما الاحاسيس و العواطف.

يستخدم بوين مصطلح la maladie motive بدل المرض العقلي أو النفسي لأنه عبر عن اضطراب في الجهاز العاطفي بوصفه الجزء الحميمي للماضي التطوري للإنسان phylogénétique و الذي يتقاسمه مع كافة أشكال الحياة العلوية .

يتطور الجهاز الوجداني لدى الانسان بفعل شبكة من الوصلات العصبية المعقدة و التي تتأثر أثناء نموها بمتغيرين هما تمايز الذات و القلق . و فيما يلي شرح Bowen family systems theory لنظريته :

* **تمايز الذات** : la diffirentiation de soi ( 1960) الهدف الرئيس للعلاج هو تعزيز تمايز الذات و تشكل ادارة الذات أساس التقنية العلاجية .

و طبقا لهذا المفهوم يحصل الاطفال على مستويات مختلفة من التمايز عن الاسرة تصل ببعضهم الى النضج و الى الأداء المستقل لوظائف الذات ، في المقابل يبقى البعض مدمجا و منصهرا في النسق و بذلك يكون اكثر عرضة للفصام . يتم قياس التمايز بواسطة التقرير الذاتي على متصل يمثل قطبه السالب المعية و الموجب التفرد .

* **عملية اسقاط الاسرة le processus de projection familale :**اسقاط الام تحديدا لمخاوفها الشخصية على الطفل الذي يستجيب و ينخرط في سلوك يؤكد العملية الاسقاطية .
* **عملية النقل عبر اجيال متعددة: le processus de transmission sur plusieurs génération** يحتاج الفصام **لثلاثة** اجيال كي يفصح عن نفسه و هي تتعارض مع الفكرة القائلة بان الام هي السبب الخطي في الذهان . فالفصام حسبه ناتج عن سلسلة من التعويضات التي يقوم بها النسق على اساس ثبات الكل على حساب بعض اجزائه .

يرى بوين انه من الضرورة بما كان احداث التوازن بين الانظمة الذهنية ( الفكرية ) و الانظمة الوجدانية و ينتج الفصام حسب بوين نتيجة اللاتمايز بين وظائف هذه الجهازين فيحدث خلط يمنع انظمة الفرد من العمل بشكل سوي.

و ضرورة التمييز بين الوظائف الذهنية و الاخرى الوجدانية هي ما يتم انتقاله عبر الاجيال ( تتزوج المراة غير المتمايزة من زوج ذو مستوى منخفض من التمايز ليورث هذا اللاتمايز لاحد الابناء و هكذا دواليك )

* **التجمع المعيق** : stuck togetherness / المثلث غير السوي يشرح بوين حدوث المثلث ضمن نظريته في ديناميات الاسرة المولدة للمرض .

**و المثلث غير السوي** هو صورة من صور التفاعلات الخاطئة و التي تتمثل في تحالفات تتكون على النحو التالي:

-الاطراف التي يضمها المثلث ليسوا كلهم أقران أو من جيل واحد ، بل واحدا منهم فقط من جيل مختلف عنهما.

-ان التحالف بين الشخصين ضد الثالث يقابل بالإنكار . بمعنى ان الطرفين المتحالفين ينكران قيامهما بذلك متى أثار هذا السلوك شكوك الآخرين و اذا عبرنا عن ذلك بلغة المصطلحات الاتصالية نقول ان ما يدل على وجود ذلك التحالف فعلا نلمسه من ناحية ما وراء اتصالية .

يرى **بوين** انه كلما كانت درجة اندماج الاسرة عالية كانت درجة التحالف عند الوالدين أكبر و بالتالي كان احتمال حدوث عملية التثليث أكبر أيضا . و يرى ان النسق الأسري يتضمن عادة عدة مثلثات ، و غالبا ما تكون متداخلة في هذه الحالة . و تتحدد ملامح هذه المثلثات عندما يحدث التوتر بين أي عضوين في الاسرة .

لقد ربط المعالجين الاسريين بين هذا المثلث و مفاهيم التحليل النفسي و خاصة الصراع الاوديبي تظهر بشكل واضح في حال وفاة زوج الام فتتحالف هاته الاخيرة مع ابنها ضد الزوجة .يمثل الطفل اضعف الحلقات في هذا المثلث كونه يعايش الصراع بين الوالدين بشكل دائم ، الامر الذي يجعله معرضا للمرض لانهاك مصادره العاطفية على هذا النحو المستنزف .

يصف بوين العلاقة الزوجية في هذا النوع من الانساق بالبرود و العدائية مما يخلق علاقة سيطرة و خنوع لصلح الزوجة بينما يميل الزوج لاتخاد موقف الخنوع و يكون عاجزا عن اتخاذ القرارات المناسبة و يسمى بوين التباعد بين الوالدين بالطلاق العاطفي و هو صورة اخرى من صور اضطراب الاتصال داخل النسق .

* **البتر الانفعالي** : emotional cut-off يؤدي الاندماج و الانصهار الى المعية التي تولد بدورها القلق فيفصل الفرد نفسه عن النسق للتخفيف من حدته او يتجنب المواقف المشبعة انفعاليا في التفاعل الاسري غير انه عادة ما يدخل في علاقات مشابهة للتهديد و الخوف السابقين فيقطعها بعنف و فجائية عندما لا تشبع حاجاته .

**الاساليب العلاجية :**

* الاسئلة : للاستفسار عن السلوك الذي يرغب المسترشد في تغييره ( يطلب وصف السلوك و ردود الفعل اتجاهه).
* التعليم : من خلال توضيح تأثيرات التفاعل غير المجدي يقوم المعالج بتعليم افراد الاسرة سلوكات جديدة تضمن لهم التكيف الفعال داخل النسق .
* رسم خارطة للأسرة : تشمل ما يلي :

\*فهم الخلل الموجود في الاجيال السابقة و الذي من شانه التأثير في النسق الحالي ..

\*توفير قاعدة بيانات شاملة عن ثلاث أجيال .

\*التركيز على المحطات الانتقالية الهامة .

\*فهم صفات النسق العرقية و الثقافية و الدينية و كذا التعرف على مكانته الاجتماعية و الاقتصادية .

\*تحديد نوع الاتصال داخل الاسرة .

**أهداف العلاج عند بوين :**

\*/مناقشة المشاكل الاسرية التي انتقلت عبر الاجيال.

\*/فهم العلاقات المغلقة و المفتوحة في الاسرة .

\*/مواجهة انماط العلاقات في الاسرة الاصل فهمها و تحليلها و العمل على تغيير العلاقات نحو الاحسن .

\*/ تقليل اعراض القلق و الصراع و المساعدة في حل الصراعات المرتبطة بالنظام. فالهدف الاساسي هو تخفيض القلق الانفعالي في جو الاسرة من خلال تشجيع الافراد على التمايز عن كتلة الانا الاسرية بغية احداث التوازن بين المعية و التفرد ( يبدأـ بالفرد بعدها يتشجع الباقون )

**ثالثا/ العلاج البنائي سالفادور منشن:Salvador Munchin**

**تمهيد** : ازدهر هذا النوع من العلاج في السبعينيات من الاقرن الماضي و اهتم بعلاج الاولاد الجانحين من خلال التركيز على التفاعلات التي تحدث بين اعضاء الاسرة كطريقة لفهم البناء / التنظيم الاسري.

يركز المعالج على الكيفية و على زمن حدوث السلوك المشكلة ثم يطلب من الاسرة وصف الانماط السلوكية السائدة فيها و تحديد العلاقات .

**المفاهيم الاساسية :**

\*/ بناء الاسرة و تركيبها يسهم في فهم طبيعة الاسرة و المشكلة التي تعاني منها لرسم خطوط عملية التغير اللازمة.

\*/ يمدنا تركيب الاسرة و بنائها بمعلومات عن نوعية العلاقات و انماط السلوك المتداول .

\*/ معرفة هرمية بناء الاسرة يساعد في فهم تفاعلاتها .

\*/ الاسرة نظام انساني اساسي يشمل العديد من الانظمة الفرعية يتكامل عمل النظام الكلي بأجزائه الفرعية .

\*/ هناك قوانين و انظمة و حدود للفروع و الاصول كلما زادت درجة جمود الحدود و قوانينها كلما مال النسق للاختلال.

**فنيات العلاج البنائي :**

\*/ التكيف accomodation: و تستخدم هذه الفنية لتحقيق المشاركة الناجحة مع الاسرة و الغرض منها الوصول للتحالف العلاجي .

\*/تمثيل انماط التعامل : enacting transactional patterns و ذلك بافتعال سيناريو لتفعيل صراعات الاسرة و مشكلاتها لان ما يقوله افراد الاسرة عن بعضم البعض غير كاف اثناء الجلسة لاستنتاج ما بداخلها من قواعد تحكمها.

\*/المشاركة : joining اندماج المعالج في منظومة الاسرة و اسلوبها حتى تتقبله و من ث م تتقبل التغير

\*/التقليد : او الانسجام البيئي الغرض منه تكييف المعالج لنفسه مع نمط الاسرة لبناء التحالف العلاجي ( انماط التفاعل المختلفة الحديث بصوت خافت في الاسر الهادئة )

\*/ الفحص probe : او جس النبض بغرض تحديد مناطق المرونة في النسق و تسمح هذه التقنية بملاحظة المناطق التي تتمركز بها المصاعب و معرفة م صدر السلطة لتحديد الاهداف العلاجية ( الفحص اداة تشخيصية و علاجية )

\*/ اعادة البناء : restructuring و ذلك من خلال تقييم مهام اعضاء الاسرة و ت صعيد الضغوط بها و وضع القواعد السلوكية داخل الجلسة العلاجية

\*/ الوقوف بجانب احد الانساق الفرعية . كدعم الاطفال الخجولين للكلام امام والدهم و المشاركة في الافكار و المشاعر .

و العلاج البنائي قصير المدى يبدا بمقابلة الاسرة ككل ثم الافراد كل على حدى في جلسات موازية او متتالية لمناقشة المشكلات الفرعية ثم العودة للأسرة مجتمعة ثانية ..

اما عن مقاومة النسق للتغيير فيرى اصحاب الاتجاه البنائي انها تعبير عن رغبة افراد الاسرة في استعادة الاتزان السابق حتى و ان كان مرضيا .

**أهداف العلاج :**

* التغيير في بناء الاسرة و وظائفها
* تحليل الانماط الهدامة من التفاعل بين افراد الاسرة و تحويلها الى انماط تفاعل ايجابية
* اعادة بناء نظام الاسرة مما يؤدي الى التغيير او الى خبرة جديدة للفرد
* لا يهتم العلاج البنائي بالعلاقات بين الأفراد فحسب بل يساعدهم ايضا على اكتشاف فرديتهم و قوتهم حتى يتمكنوا من تحمل مسؤولياتهم .

**رابعا / النموذج الاستراتيجي في علاج الاسرة: هيلي (**JayHaley**)**

**تمهيد** : هناك العديد من المداخل الإستراتيجية في علاج الأسرة ترتبط بالعلاج القائم على الأنساق لأنها تنطلق من أن الأعراض الفردية ما هي في حقيقتها إلا تعبيرا عن اضطراب وظيفي علائقي داخل النسق ( التنميط الجنسي ) .

لم يطور هالي نظرية كاملة كما فعل غيره إلا أن نموذجه يستند لاتجاهات نظرية لها مكانتها : نظرية الاتصال و نظرية المعلومات و نظرية السيبرنيتيك/السيبرنطيقا ( أنظمة التحكم الذاتي ) .لم يعترف هالي بالمنشأ الداخلي للأمراض النفسية و استبدله بالأنماط الاتصالية داخل النسق .

بدا تأثير هالي واضحا بكل من : غريغوري باتيسون ( الرابطة المزدوجة ) و إيريك ميلتون الذي طور التنويم الإيحائي و توصل إلى الرابطة المزدوجة و سالفادور ميونشن و الذي صاحبه في عيادة توجيه الأطفال في فيلاديلفيا .

**مبادئ العلاج الاستراتيجي :**

* عدم الاهتمام بالعمليات اللاشعورية و بالتالي عدم جدوى عملية الاستبصار أي أن المرشد لا يقوم بتبصير أفراد الأسرة بمشكلتهم .
* التركيز على العضو التي تحدده الأسرة ( كبش الفداء) و بالرغم من ذلك يؤمن هالي أنه في حقيقة الأمر حاملا للاضطراب لا أكثر لأنه يعكس اضطراب النسق في أدائه لوظيفته ( يعمل معه لإمكانية إحداث التغيير من خلاله ) و بالتالي يركز على القوى داخل النسق و على وسائل الضبط و على موقع الهرميات فيها.
* لا يقتصر التدخل العلاجي على العضو المحدد من قبل الأسرة فقط بل يمتد ليشمل الأنماط الاتصالية المضطربة في الحاضر لا الماضي مراعيا عمليات التطور داخل النسق و نقاط التحولات التي من شأنها أن تحدث أزمات .
* على المرشد تحديد المشكلة و تصميم التدخلات التي تخدم أهداف العملية العلاجية و تقييم استجابات المسترشدين و العمل على تصحيحها باستمرار .
* يعتبر العرض في المدخل الاستراتيجي فعل اتصالي استعاري ذو دلالة علائقية صراعية .

**الأساليب العلاجية :**

**\*/السياسات المتناقضة** : تكنيك يهدف للقضاء على المقاومة لدى المسترشد و ذلك لإفساد القوى المتصارعة داخل النسق من خلال إظهار السلوك المتسبب في المشكلة ( يشبه التنويم الإيحائي في تشجيعه لمقاومة المريض مما يسمح بخلخلة النسق )

كما يمكن استخدام الضحك و الخيال fancy و اللعب .

\*/**التظاهر**: يطلب من احد أعضاء الأسرة التظاهر بوجود أعراض مرضية أو مشكلة للالتفاف حوله و التخلي عن الأنماط السلوكية المضطربة التي كانت السبب في المشاكل ، و الهدف هو أن يتعرف الفرد على السلوك و لا يميل لإتباعه أبدا و بالمقابل يطور أنماط سلوكية اكر تكيفيه .

\*/**التمثيل** : يطلب من احد أفراد الأسرة تميل السلوك المشكل بهدف التعرف على استجابات بقية الأفراد ثم يطلب منهم القيام بأدوار مناسبة لتعديل السلوك .

**\*/الالتحاق بالأسرة** : للتعرف على تركيبها الهرمي و حدودها و أنماط تفاعلها ثم تدريبهم لتبني تفاعلات تكيفية ( يلعب دور المعلم هنا )

**\*/إعادة التسمية** : ( مثال ذلك كيفية توضيح الأم لغياب الأب عن البيت بسبب العمل المتواصل )

**مراحل العلاج الاستراتيجي :**

* **المرحلة الاجتماعية** : و تهدف لمشاركة جميع أفراد الأسرة في العلاج لان ذلك من شأنه أن يشعرهم بالوحدة و الراحة و عدم التوتر .
* **مرحلة المشكلة** : يحدد السبب الذي جاءت من أجله الأسرة أو أحد أفرادها لطلب المساعدة " لماذا جئتم إلى عيادتي "
* **مرحلة التفاعل** : يتحدث أفراد الأسرة بوجود المرشد عن أنفسهم و من ثم يتم الوقوف على المشكلة التي يصفها كل من وجهة نظره و الهدف هو تحديد صراعات القوة و الهرميات و أنماط التفاعل و تطلعات الأسرة نحو المستقبل .
* **مرحلة وضع الأهداف** : بعد تحديد المشكلة يتم تسطير أهداف العملية العلاجية ثم تقييمها من حيث آثارها على الفرد و الجماعة و كذا على المستويين القريب و البعيد .

و يحدد هالي ستة مراحل تحتاج فيها الأسرة للعلاج :

-المرحلة المبكرة من عمر الإنسان ( الطفولة و الشباب)

-السنوات الأولى من الزواج.

-ميلاد الأطفال و تربيتهم .

-السنوات الوسطى من الزواج.

-الآباء الضعاف.

-التقاعد.

**أهداف التدخل الاستراتيجي :** يصل المعالج إلى أهدافه عن طريق خلخلة النسق و جعله غير ثابت و ذلك عن طريق :

\*/ إحداث التغيير في العضو المرشح من قبل النسق كمريض.

\*/ إحداث تغيير في أنماط التفاعل بين الأفراد .

\*/ حل المشكلة الحالية و التركيز على مخرجات السلوك الناتج . من خلال بدائل مناسبة لتغير مشاعر النسق نحو السلوك المشكل .

**خامسا /النموذج المنظومي لمدرسة ميلانو**

**تمهيد :** تأثرت مدرسة ميلانو بمعهد الأبحاث العقلية الأمريكي و بنظرية الاتصال و نظرية أنظمة التحكم الذاتي و النظرية البنائية .

**1 / افتراضات مدرسة ميلانو :**

* يتضمن النسق الأسري اللغة و العلاقات و الاختلافات على مستوى التفاعلات الدائرية المعقدة التي هي أبعد من الفهم الخطي.
* تحدث الكثير من التفاعلات الأسرية على مستوى لا واعي و غير لفضي و بالتالي لا يمكنها الاستبصار بها ، و لذا يكون الهدف من التدخل هو إعادة النظام لمساره السوي .
* لعبة العائلة السرية هي استعارة مفيدة لوصف ديناميات الأسرة والعمليات التي تحافظ على سلوك أعراض أفراد الأسرة. وينظر إلى سلوكيات أفراد الأسرة واتجاهاتهم على أنها تحركات تهدف إلى إدامة لعبة الأسرة. وتهدف جميعا لتفاعلات الأسرة نحو استمرار اللعبة و زيادة المشاركة بين لاعبيها
* تحاول الأسرة إدماج المعالج في لعبتها و الذي يفترض أن يظل محايدا و بعيدا عن تفاصيلها
* تنتظم الأسرة وتنظم نفسها من خلال الالتزام بالقواعد أو المبادئ التوجيهية التي يتم تشكيلها من خلال عملية التجربة والخطأ ("سلسلة من المعاملات والتغذية المرتدة التصحيحية").
* تميل الأنساق الباثولوجية إلى تكرار حلولها اللاسوية حفاظا على توازن النسق .
* من الخطأ الاعتقاد بأن أفعال شخصا ما هي السبب المباشر في سلوكيات شخص آخر .
* كل معاملة عائلية هي سلسلة من الاستجابات السلوكية التي تؤثر على الاستجابات السلوكية الأخرى و هكذا .
* تميل الأعراض النفسية إلى التطور في النظم الأسرية المهددة بالانهيار.

**2 / تعريف العلاج النفسي المنظومي**: عبارة عن شكل تواصلي بين شخصين أو أكثر، يراعي بصورة خاصة عمليات التفاعل النوعية البانية للعلاقة بين الناس في منظومات مختلفة و ينظر للإنسان على أنه محدد من الناحية المنظومية بشكل مضاعف: فمن جهة يمثل الإنسان نفسه منظومة مستقلة مركبة منتجة ومنظمة لذاتها، ومن ناحية أخرى هو معتمد وجودياً على المنظومات الاجتماعية و البيئية )المنظور المنظومي البيئي ‘ Eco-Systematical Perspective’ (، التي تؤمن قدرته الحياتية.

**3/ التدخلات المنظومية (الفنيات) :** يقصد بالتدخلات المنظومية systematical Intervention كل التدخلات المتوافقة مع محددات العلاج النفسي المنظومي و تتطابق في منطقها مع مبادئهاو عادة ما تتصف التدخلات المنظومين بسمتين اثنتين:

\*/ ينبغي أولاً أن تؤثر بشكل مشوش على منظومة فردية أو اجتماعية )مظهر تشويش perturbation المنظومة(.

\*/ينبغي لهذا التشويش أن يستثير المنظومة، على تحقيق حالة أكثر رضاً أو "أكثر بيئوية" للتنظيم الذاتي. ويحدد اتجاه هذا التشويش من جهته المنظومة نفسها التي ينبغي زعزعتها، بأن يمنحها أهداف. ومن خلال التشويش الهادف يفترض عندئذ للمنظومة أن تنشط قوى التعديل الذاتية والموارد والكفاءات من أجل ذلك. )مظهر بؤرة الحل، مبادئ التنظيم الذاتي و قوى التعديل داخل المنظومة(

**3-1-/ الأسئلة المباشرة و الأسئلة غير المباشرة :**

وتعد الأسئلة غير المباشرة من الأشكال الرئيسية للتدخل في العلاج النفسي المنظومي فهي تستبعد المشكلة عن بؤرة الاهتمام أو توجه الانتباه نحو الحل مقارنة بالأسئلة المباشرة و التي غالباً ما تجعل علاقة التعاون بين المرشد و المتعالج تزداد سوءاً لأنها تتضمن بأن أشخاص معينون قد تصرفوا خطأ وأنهم مذنبون بهذا

تساعد الأسئلة غير المباشرة في :

* الحصول على معلومات أكثر بكثير مما هو الحال في الأسئلة المباشرة.
* تساعد في اختبار الفرضيات مع الحفاظ على الحيادية الخاصة.
* تساعد في تجنب المرجعية الذاتية الاشكالية (المقصود بها علاقة الأمر بالشخص نفسه ) و حل البنى الجامدة في تشابكات العلاقات الاجتماعية ، لأنه تستثار من خلال الإجابة معلومات جديدة، وتتضح فروق علاقات، وينطلق التواصل حول التواصل و السلوك )ما وراء التواصل **Meta communication)** .)
* تساعد في استثارة تبديل المنظور و من ثم قدرة التعاطف؛ إذ يتم التشكيك بعلاقات الأسباب النتائج .
* تساعد في تكوين أفقاً جديدة فيما يتعلق ببنى الواقع الخاصة فيما يتعلق بصورة الذات و صورة الآخر وتجعل من الرؤية السلبية للذات نسبية بشكل ما وراء تواصلي.

تساعد في إظهار فروق العلاقة بمعنى فحص علاقة ثنائية من خلال وجهة نظر الطرف الثالث ( التثليث) . هذه التقنية تمثل في الوقت نفسه وسيلة فاعلة جداً، من أجل تحفيز موجة من ردود الأفعال في الأسرة، المفيدة جداً فيما يتعلق بالعلاقات الثلاثية.

و بمساعدة الأسئلة غير المباشرة يتضح أن إمكانات الحل وأنماط السلوك موجودة و لا تحتاج سوى إلى التفتح.

**3-2/** **تناقض التأثيرات المتناقضة** : التأثيرات المتناقضة هي مضاد استطباب في أنماط السلوك المشكلة التالية: التصرفات العدوانية و العنيفة، سوء الاستخدام، سوء المعاملة. كما أنها مضادات استطباب في الدوافع الانتحارية و السلوك الإدماني. وفيما يتعلق بالسلوك الظاهر فهي مضاد استطباب في الدوافع الانتحارية )محاولات الانتحار( و السلوك الإدماني.

وبشكل عام تسري القاعدة المتمثلة في أنه على المعالج معرفة ما الذي يفعله. فإذا ما لم يكن يعرف و قام بتصرفات لا يستطيع توضيحها فعليه أن يتخلى عنها. "يكمن السبب الأهم لقاعدة، إعطاء واجب في نهاية الجلسة في أن تعليمة متناقضة تنتج ارتباطاً مضاعفاً . ووفقاً للتعريف فإنه لا يسمح للذي يوضع في وضع ارتباط مضاعف، بالتعليق عليه، ومن أجل الحيلولة دون المتعالجين و مثل هذه التعليقات أو تفنيد الواجب، على المعالج قطع الجلسة العلاجية بسرعة بعد التكليف بالواجب و عموما يفيد المفهوم في وصف **أشكال مختلفة من التدخلات المتناقضة** منها :

* استحضار العرض : ومبدئياً يمكن التفريق فيما يتعلق بالمقاصد العلاجية بين ثلاثة أنماط من استحضار الأعراض :

\*3-2-1 استحضار للأعراض التي ينبغي الاستجابة لها **–** بالشكل الذي هي موجودة فيه موجودة-: يتم استحضار الأعراض من أجل رفع السيطرة الشعورية على الأعراض.

\*3-2-2 استحضار الأعراض التي يتم اصطناعها

\*3-2-3 استحضار الأعراض التي ليس بالضرورة الاستجابة لها، وإنما التي تتطلب فقط الاستعداد للتصرف طبقاً لتوصية المعالج النفسي، أو التي تترك غامضة، فيما إذا كان على المرء التصرف هكذا أم لا. ويهدف هذا الاستحضار للعرض إلى تعديل النمط في الديناميكية الدائرية )حلقة مفرغة، إرجاع إيجابي( بين شخصين أو أكثر، أو إلى كسره. إنه يؤثر بشكل غير تصعيدي ويحقق التباعد مع الاحتفاظ في الوقت نفسه على الاستقلالية الذاتية.

\* إذا ما أُظهر العرض، فإنه يسبب إرباكاً من جانب الشخص المواجه بذلك، الذي يطرح السؤال" :هل يُظهر عرضه الحقيقي أم يتصرف بهذا الشكل وكأنه يمتلك العرض الآن وفقاً لإرشادات المعالج فقط؟" \*إذا ما لم يتم إظهار العرض، يعد ذلك دليلاً على أنه الآن يخضع للسيطرة الشعورية.

3-3/ وصف العرض : اثناء جلسة العلاج يطلب المرشد من المسترشد الاستمرار في القيام بالسلوك مصدر المشكلة ) استخدم ميلتون هذه التقنية مع طفل كان يقضم اظافره الامر الذي جعله يعتبرها عادة مؤلمة( شبيه بأسلوب الغمر .

3-4/ اختلاق ازمة : وضعه دون جاكسون و الهدف منه ايقاف توازن النسق و اجباره على التغيير .

3-5/ اعادة التشكيل .

3-6/ التغذية الراجعة الموجبة : تكنيك علاجي يدفع الاسرة الى تبني تصرفات جديدة و تلغي القديمة .

**3-7أسئلة المعجزة** . تنشط بشكل مباشر الخيالات باتجاه رؤية الحل أو الهدف

**3-8/أسئلة التدريج** : عبارة عن أسئلة يتم من خلالها توضيح الفروق البسيطة في تقويم خبرة إنسان ما. وقد دخلت بالأصل في العلاج النفسي المنظومي من خلال ستيف دي شازر:

لنفترض أنك ستقوم الآن إحساسك الراهن/الاقتراب من هدفك )حالات إيجابية/أهداف( على مقياس متدرج من صفر حتى عشرة، فأين موقعك الآن و أين كنت على هذا المقياس في جلستنا الأولى؟

تسهل أسئلة التدرج للمتعالج تركيز الانتباه على الخطوات التي تم تحقيقها حتى الآن.على سبيل المثال إذا قال المتعالجون بأنهم قد تقدموا من الدرجة **2** إلى الدرجة **4** بين الجلسة الماضية واليوم، يمكن إتباع ذلك مباشرة بالسؤال التالي: كيف حققت ذلك؟ ولنفترض أن هذه العملية ستستمر بالتقدم هكذا فأين سيكون موقعك بعد أسابيع ستة؟ ما الذي قد تفعله بشكل مختلف عندئد ؟ ما الذي سوف تعتقده حول نفسك ؟